هذا هو ما انتظره في قول العامي المصري الذي ضربناه لك منذ لأم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئاً من ذلك. استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفاسف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادىء الاسلامية ما لم تهتد الناس إليه الا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ـ ١٨٩٦

صادفنا غداة اليوم على مقربة من ليما زنجيا آتيا اليها يلتمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو المثل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشعوذ يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار

كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بنفقة نفسه مصحوباً بصبية زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قولا فسألتها بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تعرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتمى إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدميها قد ورمتا ورما مفرطاً ولما أمعنت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) معرب من باب تربية الناشئ من كتاب اصول القرن التاسع عشر

غليظة في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتورهما من الشوك والوحب ولدغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آتيين من مسافة بعيدة جدا

ملازلت بهذه الشوكة حتى نجحت في سلها ثم ضممت أجزاء الجرح بعضها الى بعض ولما لم أجد خرقة أعصبه بها لولتني «لولا» منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دهنها رحمها بهذه الفتاة الى خلع نعليها ووضع قدميها المرضوضتين فيهما فلاغتاها أشد اللاغة كأنما صنعتا لهذه المسكينة فأعربت «لولا» عن شكرها ثم غادرتها ومضينا في سبيلنا

انبعثت «لولا» الى عملها هذا باعث من بواعث الخير القلبية لانها مالبثت ان أدركت صعوبة الاختفاء في أرض صلبة خشنة كأرض البيرو فان طرقها لا مشابهة بينها وبين مخارف البساتين الكبرى في انكلترا

انشأ «إميل» أولا يسخر من حيرة صديقه في مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صنيعها دبت فيه النخوة فاحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلا جداً ومع ذلك وقف «اميل» في أثناء للاستراحة مرتين أو ثلاثاً متبرماً في ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بصرنا من بعيد بالمشهود يقود البوما وعرفت «لولا» الصبية الزنجية وقد خلت النعلين وحملتهما في يدها فما كان أشد غمها هذا المرأى انظر كيف بخستهما ثمنهما وكيف استعملتها

فسريت عنها ما خامر قلبها من الكدر بأن قلت لها ان العادة طبع ثان وان هذه الصبية لابد أن تكون تعبت من الانتعال لاعتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذه من الوسائل لايصال النفع

والذي رأيته خيرا من هذه العظة كلها هو ان ما وجسده قلبها الطاهر من السرور باحتمال «اميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لايخسر شيئاً مما يسديه من المعروف اهـ

يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٦

زرنا بعض أجزاء من جبال الفوديير ولم يكن سوق «اميل» أن شاهد مثل هذه الجبال التي يصح أن تسمى بالالب (١) الامريكية فراعه كل الروع ما لهذا الخلق الهائل

(١) جبال الالب هي سلسلة جبال عظيمة في اوربا

من مظاهر الفخامة والعظم مع أنه لم نبلغ منها إلا أدنى شعافها

لا بد لي أن ألاحظ هنا أن القدماء كانوا أقل ميلا للتأثر بالجبال الشامخة من المحاسن الرائعة فانك لم ترَ شعراء اللاتين من الكلام فيها إلا النذر اليسير ومعظم ما قالوه استهجان واستقباح وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم أن يدهمهم من الكوارث المحزنة ما تهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث والتنقيب الذي هو من مزايا العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لأدركوا أن في سيارنا الذي نعيش على ظهره من المظاهر الهائلة البديعة ما يدعو الى الاعجاب الحقيقي اهـ

يوم ٢ سبتمبر سنة ـ ١٨٦

كتبت «لولا» دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلا القولين صحيح باعتبار جهة النظر اضطررنا للمصالحة في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من الانتظار أشهراً بل سنين فعرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً من النقود وبعض ما كان لوالدها من الارضين . والارض هاهنا لا قيمة لها اليوم أصلا مالم يستغلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد

فأما انا وهيلانة فما جئنا لنقيم فيه ليما » بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق الا السفر لا سيما اني تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون يدعوني الى لوندره لامور نافعة لي بينها فيه

وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خبيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار الحارة وليسا من ذوي العقول الضعيفة وأمانتهما تقوم بكل ما في بلاد البيرو من الذهب ولا أرى ما يمنع من العهد اليهما بزراعة أطيان «لولا»

وانه ليشق عليّ مفارقة هذين الشهمين غير اني أرى أن اقليم انكلترا لم يخلق لمثلهما من الزنوج وأما اقليم جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ جميل ووطن سعيد اهـ

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندره الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويعلم الله متى يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلا من احتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة تجارية على نهر الامازون (١) تسير بنا والشاطىء حتى نبلغ سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر أنهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهر أحد فروعه القريبة من ليما

سفينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بعشرين يوماً تقوي «لولا» أن تودعنا لان بلادها لقلما عرفته منها لم تبت في نفسها شيئاً من الرغبة في توطنها ولانها تعلم فوق ذلك انا نحبها

ماتمت على هذا السفر بحال» فاميل» قد مضى وقته هنا في الالتفات الى العلم والاتقان في مسائله فهو يعود الى بلاده الآن ناقلا اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي بل حاملا ما هو خير لها منها — ضروب الاشغال الكثيرة بارائي وصنوف الذكر للاوطن وقد تربى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجال غيرها»

نعم اني لا أعني بهذا القول أن ألزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يبتعدوا عن أوطانهم بقدر ابتعاده ولكن رأيي الذي لا أحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من أصدقائهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه في الكتب لغنموا من ذلك أكثر مما يتوهمون اهـ

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من «أميل» الى والده

وصف معيشته — نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم — تهافتهم على خدمة الحكومة تفكر «اميل» في أمره — تأففه من عدم فهمه اللغة الالمانية — ذكره «لولا» استيحاشة من غربته

برلين في ٨ يناير سنة — ١٨٦

التقطت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لابد من تأديته وصرت أدعى منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض علي أن أكاشفك بشيء من تفاصيل معيشتي وأنا طالب : امانهاري فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات ومنافع أعضائها والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلي فاقضيه في مسكن استأجرته ستة أشهر بنحو مائة وخمسين فرنكا واما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة في مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبعد العشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامه هي فرنك وربع